الأيديولوجيا في الفكر العربي الإسلامي

"طروحات عبد الله العروي نموذجا"

Ideology in the Arab-Islamic Thought "Abdullah Al-Arawi's"

بلخضر نوال*

كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر

****

تاريخ الإرسال:2018/07/22 تاريخ القبول:2019/01/23 تاريخ النشر: 31 جانفي 2019

الملخص بالعربية

عمق العروي صلته بمجمل التراث الفكري الغربي وحاول ان يظهر الجذور القديمة لمفهوم الأيديولوجيا، كرؤية مغايرة لواقع ينعكس في الحق والعلم، انعكاس الواقع في الذهن هو القاعدة البديهية والطبيعية حيث حاول "دراسة الأسباب التي تمنع الذهن البشري من عكس مباشر لبنية الأشياء، وتطرق ل "الأدلوجة" كمفهوم بديهي وطبيعي وضروري حالت أعراض تاريخية دون ظهوره في الفلسفة الإغريقية والمذاهب الإسلامية.

كلمات مفتاحية: الأيديولوجيا ، الفكر العربي الإسلامي، عبد الله العروي

abstract

Al-Arawi's attempt in his book is similar to the work of a topographical survey of the back of a ship that water enters from each side and is about to drown. The rescue of this ship is not, in our opinion, a humanitarian or national necessity, which urges us to review the concept of "objective Marxism.

Keywords: Ideology; the Arab-Islamic Thought; Abdullah Al-Arawi's

* - طالبة سنة ثالثة دكتوراه ل م د.ninawel9@gmail.com ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، مخبر: الفينومينولوجيا وتطبيقاتها

المقدمة

يستند نص الإيديولوجيا العربية المعاصرة، إلى مرجعيات معلنة، وهو يقوم بتحليل وتركيب الخطاب الإيديولوجي في فكرنا المعاصر، الأمر الذي يرتب علاقة خاصة بين النص وزمانه، وبين النص وما صدر من نصوص بعده، وبين النص في سياق أزمنة وإشكالات تتجاوزه، وتحمل بدورها مرجعيات أخرى، تنفتح على آفاق جديدة في النظر والسؤال، ويُقرأ نص الإيديولوجيا العربية المعاصرة في نظرنا، باعتباره المقدمة الكبرى للأبحاث التي تستوعبها الكتب الصادرة بعده، نقصد بذلك العرب والفكر التاريخي (1973) وأزمة المثقفين العرب(1974)، وباقي أعماله الأخرى، حيث نعثر في مختلف أعمال المؤلف المتواصلة(1)، على مواقف تروم الدفاع عن التاريخ والفكر التاريخي وهو الخيار الثقافي والسياسي الذي تبناه العروي في مختلف أعماله الفكرية.

تبرز قوة هذا العمل، في الروح الفكرية العامة الموجهة لفصوله وخياراته، وهي تبرز اليوم في عملية الاستواء التي تبلورت بها هذه الروح (2)، في أعماله التي تلاحقت بعد ذلك، وإذا كان من المؤكد، أن جوانب من مرجعيات هذا العمل، في الواقع وفي الفكر العربي، قد تغيرت، فإن الإشكال الكبير الموجه للكتاب ولمشروع صاحبه ما زال قائماً حيث تتواصل معضلات التأخر التاريخي في عالمنا (3) ونتصوَّر أن نص الإيديولوجيا العربية المعاصرة يخاطبنا اليوم وقد تراكم الحاضر العربي خيبات وهزائم كثيرة، إنه يدعونا مجدداً للتصالح مع ذواتنا ومع العالم، وخطوتنا الأولى في هذا الباب، تتمثل في مزيد من استيعاب مكاسب الفكر المعاصر، ذلك أنه مهما تأخر هذا الأمر سيظل بلغته "ضمن جدول أعمالنا، كلما تأخر، كلما تشابكت الأوضاع وضعفت فعالية المجتمع العربي ككل (4)" يكثِر بعضُ الإعلاميين، وضيوفِ القنوات التلفزيونيّة، من استعمال مفردة "إيديولوجيا" ومشتقّاتها، حتّى كادت تغدو سُبّةً شائعةً وهذا أمرٌ يدلّ على جهلٍ كبيرٍ بمعاني هذا المصطلح العلمي، وسياقاته (5).

فلقد ظُلِمَت الإيديولوجيا كنظامٍ للأفكار، بسبب السمعة السيّئة للإيديولوجيا كقناع. وكان عبد الله العروي قد خَصّص كتابًا كاملًا، لهذا الموضوع، وتتبّعَ فيه تقلّباتِ ترجمة مفردة "الإيديولوجيا" وتحوّلاتها في بعض اللغات الأجنبيّة (كما أنّ له كتابًا آخر حول

الإيديولوجيا العربيّة بالذات) (6) ، ولتوضيح بعض جوانب هذا الموضوع، إنّ المعاني التي ترادف كلمة "الإيديولوجيا" ومنها: المنظومة الفكريّة، العقيدة، الذهنيّة تشير إلى معنًى واحدٍ من بين معانيها العديدة التي لا يمكن ضبطُها إلّا من خلال دراساتٍ تحليليّة معقّدة، لأنه في السرديّة التراثيّة العربيّة الإسلاميّة، أدّت لفظةٌ أخرى، هي "الدعوة،" دورًا محوريًّا مشابهًا لدور مفردة "إيديولوجيا" اليوم، ويمكن أن نضيف أنّ كلمة "عقيدة" ربّما أدّت دورًا أعمقَ من "الدعوة،" وأكثرَ شبهًا بالإيديولوجيا كقناع، وهذا الأمر عبّر عنه أحدُ الفاعلين في السرديّة التراثيّة، هو الإمام أبو حامد الغزالي، الذي قال: "العقيدة حجاب،" وقال أيضًا: "إن المُقلِّدَ لا يصغي،" وقد يعني أنّ المقلِّد لا يفكّر، بل يسمع ويصدِّق ما يقوله له المُصغَى إليه. ومن العجيب أن نجد هذا المفهومَ، بشكلٍ شبهِ حرفيّ، لدى ماركس الذي كتب كما ينقل لنا العروي أنّ "مفهوم الإيديولوجيا، كمجموعة أوهام، تُعتم العقلَ، وتَحْجبه عن إدراك الواقع والحقيقة" (7)

اختارت جائزة الشيخ زايد في دورتها المفكر والكاتب المغربي عبد الله العروي شخصية العام واحتفت به وأقيمت ندوات حول فكره وأعماله في معرض أبو ظبي للكتاب، هنا قراءة في تجربته ومساره (8) ترسم صورة للمفكر المغربي الكبير معناه أن ترسم صورة لمرحلة تاريخية مهمة عرفها الفكر العربي في أوج تجلياته الكبرى، بدءاً من مساءلة الفكر الإيديولوجي العربي، وصولاً إلى مساءلة الحياة اليومية والتعبير عنها وعن المجريات التي تقع فيها وتؤثر في سيروراته ذلك أن رسم هذه الصورة يجب أن ينطلق من الأثر الجلي الذي خلفه كتابه العميق «الإيديولوجية العربية المعاصرة» في الوسط الثقافي العربي وردود الأفعال التي تلت صدوره (9) في هذا الكتاب يحدد بعمق مكونات وخصائص هذه الأيديولوجية، ويفكك بنية هذه الأيديولوجية منطلقاً في ذلك من تفكيك علاقة الذات (العرب) بالآخر (الغرب) من جهة وعلاقة هذه الذات نفسها بالماضي الذي شكّلها، ثم يحاول توضيح العلاقة التي تربطها بالماضي والمستقبل، وكيفية تعاملها مع الحاضر، وكيفية فهمها للفكر الكوني المحيط بها وطرق التعبير التي عبرت بها عن كيانها الفكري والوجداني (10) هذا الكتاب الذي اعتبره مكسيم رودنسون كتاباً مهماً من ناحية وضوحه ومن حيث مصداقيته، والذي اعتبره محمد برادة كتاباً يمتلك أهمية كبيرة بالنسبة إلى الثقافة العربية، وطبعا لن تكتمل عملية رسم هذه الصورة إلا بمساءلة كتابه «خواطر الصباح» بأجزائه الأربعة التي سجل فيها يومياته الشخصية وتأملاته الخاصة المرتبطة بالأحداث التي عاشها العالم في هذه السنين التي تتطرق إليها هذه

الخواطر ذات البعد الفكري العميق والتحليل التأملي المركز على رغم كونها كتبت لحظة وقوع الأحداث المتحدث عنها، هذا طبعاً بالإضافة إلى كتبه الفكرية الأخرى مثل كتابه «العرب والفكر التاريخي» الذي توقف فيه عند «منطق الأيديولوجية العربية المعاصرة» و«العرب والتاريخ» و«المضمون القومي للثقافة» و«دراسة الثقافة» و«الماركسية تجاه الإيديولوجا الإسلامية» و«الماركسية ومثقف العالم الثالث» و«أزمة المثقف وأزمة المجتمع» وغيرها، وكتابه الآخر «أزمة المثقفين العرب» الذي تمحورت مواضيعه حول «العرب والتاريخ» و«سنة وتسنين» و«العرب وعلم الأجناس الثقافي» و«الأنتلجنسيا العربية والتاريخانية» و«مثقف العالم الثالث والماركسية» (11)، وكتابه «مجمل تاريخ المغرب» وكتابه «من ديوان السياسة» و«كتابه «السنة والإصلاح»، وكتبه الأخرى التي توقف فيها عند تحديد المفاهيم في شكل تحليلي بعيد الغوص، وهي كالتالي: «مفهوم الأيديولوجيا» و«مفهوم الحرية» و«مفهوم الدولة» و«مفهوم التاريخ» و«مفهوم العقل» (12).

أبان العروي في مختلف كتبه الفكرية عن هذا الغوص العميق في ثنايا الفكر الغربي محللاً ومسائلاً ومفككاً وبانياً وجهة نظر قوية تجاه ما يقرأ، وأبان أيضاً في كتبه الإبداعية السردية عن هذا البحث المضني للقبض على روح المجتمع وسبر أغواره، وفق رؤية شاسعة تحيط بالعقدة التاريخية والنفسية لهذا المجتمع (13) و هو أمر لم يستطع التوصل إليه إلا كبار الكتاب في العالم أجمع. ذلك أن عملية القبض هاته والوصول إلى جوهر الأشياء هي ما قد يميز روائي عن آخر ولا يتم ذلك في غياب معرفة بعمق اللغة والقدرة على التعبير بها في أدق التفاصيل.

إن أهمية أطروحات المفكر المغربي عبد الله العروي تزيد أهميتها يوما بعد يوم، خاصة مع توالي الأحداث التاريخية التي تؤكد على ضرورة القطع مع العنف ومع المشاريع الدينية اللاعقلانية التي لا تفهم الواقع التاريخي بعمق، ومن جملة المفاهيم المهمة في فكر العروي (14)، مفهوم الثورة الثقافية، وهي ثورة عقلية في الأساس يجب أن يضطلع بها المثقفون، من أجل نقد الثقافة التقليدية وتأسيس نظرة جديدة تتصالح مع العالم، ومع التاريخ وتقطع مع الفهم الموروث واللاعقلاني.

للبنية المعرفية التي تتشكل عليها الأيديولوجيا عند العروي بحيث تعتبر مرجعاً رئيساً لرسم سياسات الفكر العربي وخططه، ومحركاً نحو تحقيق غاياته الكبرى وأهدافه العامة كما أنها تُمثل موجهاً لعمليات التطوير المستمرة لمنظومة التفكير في كل المراحل

والمستويات،كما تعتبر قاعدة رصينة للنظام العلمي تتميز بطابع الشمول والتكامل والأصالة والمعاصرة والتجديد، متضمنةً موجهات تحقيق النمو المتكامل للمفكر روحياً ونفسياً وفكرياً وخلقياً وجسمانياَ واجتماعياً، فضلاً عن السعي لتعريف المجتمع بالتزاماتهم الدينية، والاجتماعية، والقانونية في علاقاتهم المتنوعة مع أنفسهم ومع الآخرين، وذلك بما يقدم إليهم من فكر جديد، متضمناً برامج ثقافية، تسهم في صقل الثقافة التقليدية وكفاءاته بما يتواكب ومتطلبات التنمية المستدامة، وتُعدُّ موجهًا لبناء عناصر التاريخ كافة وتطويره وتستند هذه المبادئ على مجموعة مصادر وأسس دينية وعلمية ووطنية ودولية، قادرة على فهم مجريات العصر وحسن التعامل معها، والممتلكة لمهارات التفكير العلمي والحياة العملية الإيجابية، المسهم في قطع العلاقة مع المفهوم الموروث واللاعقلاني.

ما الايديولوجيا ؟ هل هي وعي زائف ومقلوب للعالم أم أنها الوسيط الضروري الذي بدونه لا يمكن للبشر أن يتحاوروا ويفعلوا في التاريخ؟ هل هي اغتراب للوعي وبالتالي عجز عن توجيه الفعل وضياعه في مسارب خاطئة ؟ أم أنها أداة الإنسان لتملك عالمه ومصيره؟ ثم هل الايديولوجيا مجرد أوهام مفارقة للواقع أم أنها تعبير عما يتضمنه هذا الواقع من تناقضات وصراعات؟.

مفهوم الإيديولوجيا عند عبد الله العروي

عُرف عبد الله العروي مؤرخًا للمغرب العربي مثلما عرف مفكرًا معنيًا بالقضايا الحيوية الكبرى المتعلقة بتطور الفكر العربي في إشكالياته الخاصة، أي ضمن سياقه التاريخي والثقافي الخاص، وفي تفاعله مع الفكر الغربي هذا الجانب الأخير أسفر عن عدد من الأطروحات والدراسات المبتكرة التي أثرت الفكر العربي المعاصر ومن أشهرها دراساته في مفاهيم رئيسية كالإيديولوجيا والتاريخ والحرية والدولة(15) ويُعدّ كتابه «الإيديولوجيا العربية المعاصرة» الصادر بالفرنسية عام 1967 ثم المترجم إلى العربية من الكتب المهمة التي تناولت وضع الثقافة العربية في النصف الأول من القرن العشرين وأوائل النصف الثاني وتأتي أهمية الكتاب من عدة وجوه(16).

إن مفهوم الإيديولوجيا ليس مفهوماً عادياً يعبّر عن واقع ملموس فيوصف وصفاً شافياً، وليس مفهوماً متولداً عن بديهيات فيجد حداً مجرداً، وإنما هو مفهوم اجتماعي تاريخي، وبالتالي يحمل في ذاته آثار تطورات وصراعات ومناظرات اجتماعية وسياسية

عديدة. انه يمثل "تراكم معانٍ"، مثله في هذا مثل مفاهيم محورية أخرى كالدولة أو الحرية أو المادة أو الإنسان (17) من يستطيع اليوم أن يعطي للدولة تحديداً شكلياً أو قطعياً بدون رجوع إلى التاريخ والاجتماع والاقتصاد والنظريات السياسية؟ وهكذا يستلزم كل نقاش حول مفهوم الإيديولوجيا الاطلاع على أصله وصيرورته وبالتالي على المذاهب الفلسفية المتعلقة به. وضمن هذه المنهجية حاول الباحث في دراسته هذه رسم الخطوط العريضة لخلفيات المفهوم متوخياً توضيح المعاني المضمنة فيه والتي تستولي على ذهن كل من يستعمله اليوم، حتى ولو لم يكن داعياً بها، وغاية الباحث التمكن عن استعمال مفهوم الإيديولوجيا في الحدود اللائقة به إن لم يكن بالإمكان الاستغناء عنه بالمرة.

تبرز هيمنة الآيديولوجيا على الثقافة العربية المعاصرة، حيث تعني سلسلة من الأفكار والمعتقدات المنفصلة عن الواقع سواء حول الذات أو الآخر، فهي «منحرفة عن الواقع» (أي أدلوجة) وتلعب الترجمة دورًا بارزًا في تلك العملية الانفصالية بنشر فهم مغلوط أو ناقص للنصوص المعربة، يتساءل العروي (18)، إن كانت ترجمة كتابه أنموذجًا لما ينتشر من ترجمات؟ الصورة التي يظهر بها المترجم في مقدمة العروي تكاد تجعله الشخصية الرابعة إلى جانب الشخصيات الثلاث التي يدرسها في كتابه: الشيخ والسياسي وداعي التقنية، سعي أولئك إلى تحقيق نهضة عربية سواء في المشرق أو المغرب العربي ظل محكومًا بإيديولوجيا منفصلة عن واقع المجتمعات العربية مثلما هي منفصلة عن واقع المجتمعات الغربية التي تترجم ويجري التعلم منها ومحاكاتها، منفصلة بمفاهيم وأحكام مسبقة، لكن المهم هنا هو أن ذلك يعني هيمنة على الواقع العربي يصعب اختراقها، وما صراع العروي مع مترجميه إلا صورة مصغرة لمحاولته كسر الهيمنة لكي يصل إلى القارئ العربي بالقدر الذي يجعل كتابه مؤثرًا بحيث يجعل «الوعي العربي يتساوى مع واقعه المجتمعي داخليًا وخارجيًا» تقول المعلومات السيرة الخاصة بعبد الله العروي إنه ابتدأ حياته الثقافية بالنشر باسم مستعار هو «عبد الله الرافضي» (19)، ومن يعرف إيحاءات مفردة «رافضي» الملصقة بالشيعة من قبل أهل السنّة في العالم الإسلامي سيستغرب الاختيار، فلعل المقصود هو الرافضي بمعنى من يرفض الواقع أو النظام الذي يعيش فيه، أي بمعنى الثائر أو الثوري، لكن تلك ستكون صيغة غير معتادة ولا يبدو أن في سيرة العروي، المعلنة على أية حال، أحداث نضالية سوى قربه ربما من بعض المناضلين في الحياة السياسية للمغرب المعاصر مثل المهدي بن بركة، هذا

إلى جانب انتمائه لليسار في الفكر والسياسة وهذا الانتماء يعني دون شك رفضًا، أو قدرًا من الرفض، للواقع السياسي والفكري، لكن السؤال هو: كيف أسفر ذلك الرفض عن نفسه في أعمال العروي؟في كتاب «الآيديولوجيا العربية المعاصرة»، كما في كتاب «مفهوم الآيديولوجيا»، يؤكد العروي أن الآيديولوجيا العربية المعاصرة، بما هي آيديولوجيا، "تستعيد مسار الفكر الغربي وهي، لهذا السبب، متعالية عن المجتمع الذي تعبر عنه"(20) ويعني هذا أن الفكر الغربي يمارس هيمنة أو احتلالاً للفكر العربي، نوعًا من القمع المفروض ذاتيًا وليس من الخارج. وسيذكرنا ذلك بما يقوله مالك بن نبي حول القابلية للاستعمار، والاستعداد لتلبس فكر الآخر، أطروحاته، رؤيته لنفسه وللعالم، بحيث يتحول إلى رقيب مهيمن على الذات وقامع لقدرتها على الرؤية المستقلة. يأتي هذا ضمن مقارنة يجريها العروي بين كتابه «الآيديولوجيا العربية المعاصرة» وكتاب للبناني نديم البيطار بعنوان «الآيديولوجية الانقلابية» (1964)، مقارنة تنتصر، كما يجب أن نتوقع، لكتاب العروي، وتختتم تلك المقارنة بملاحظات المفكر المغربي حول كتابه يقول في نهايتها إنه اختار الابتعاد عن الغرب بعدم استخراج الأيديولوجية من تاريخه مفضلاً استخراج الأدلوجة من التاريخ العربي الحديث نفسه «لم أستخرج الأيديولوجية من تاريخ الغرب» لكنه يفاجئنا بعد ذلك بقليل بقوله إنه حكم «على الماركسية بأنها النظرية المعقولة الواضحة النافعة لنا في الدور التاريخي الذي نحياه»، وليؤكد ذلك مرة أخرى في آخر جملة من ذلك الفصل؛ يقول فيها: «ولهذا السبب يستعمل البحث مفهوم الأيديولوجية الذي تشترك فيه الماركسية والاجتماعيات الألمانية، المعنى الذي بلورته أعمال مانهايم ولوكاتش»(21) لا يرى العروي أن تبنيه للماركسية استعادة لمسار الفكر الغربي، كالتي تسم الفكر العربي الذي ينتقده. هل الماركسية وأعمال مانهايم ولوكاتش منفصلة عن الفكر الغربي؟ أم أن وعي العروي بما يفعل يبعده عن التلبس الآيديولوجي الذي يجده لدى المفكرين العرب الآخرين؟ أو لربما أنه لم ير أن الأطروحات الماركسية وفكر مانهايم واقعة ضمن آيديولوجيا غربية، ما يجعلها مهيأة للتبني وصالحة لتفسير الظواهر حتى النابت منها في سياقات ثقافية مختلفة عن تلك التي عمل ماركس ومانهايم على استخراج آيديولوجيتهما منها؟ الحقيقة أن العروي مع تبنيه للماركسية يعبر عن موقف نقدي إزاءها، فهو ينكر دعوى العلمية في الماركسية ويقول إن الماركسيين العرب انزعجوا من ذلك الإنكار، شكواه من ذلك الانزعاج تذكّر بشكوى ميشال فوكو من انزعاج الماركسيين الفرنسيين لتجاهله الإشارة إلى ماركس الذي سبق أن أشرت إليه في

مقالة سابقة حول فوكو، فهو القلق ذاته من الرقابة التي يفرضها عليه الرقيب الآيديولوجي في نهاية المطاف، غير أن فوكو الذي يتحرك ضمن سياقه الحضاري من دون أن يلقي بالاً لسياقات ثقافية أخرى يختلف عن العروي وغيره من المفكرين العرب الذين يتحركون وأعينهم مشدودة إلى ثقافتهم من جهة وإلى الآخر من جهة أخرى، بل وأعين الثقافتين مشدودة إليهم بالتفحص والنقد، بيد أن الوعي بالآخر الثقافي لدى المفكرين العرب، ومنهم العروي(22)، يظل بعيدًا عما يشكو منه مفكرون غربيون مثل فوكو، ليس المفكرون العرب معنيين بالتنوير، مثلاً من الزاوية التي كانت مدار تحليلات فوكو في كتب مثل «أدب وعاقب» أو «أركيولوجيا المعرفة».يشير العروي إلى فوكو ضمن مفكرين آخرين فقط ليلفت الانتباه إلى صعوبة أساليبهم في الكتابة وتأسيه على وضع أعمالهم المترجمة إلى العربية، أما ضيق بعض أولئك، مثل فوكو وباديو ودولوز وتشومسكي، من القيود المفروضة على حرية الخطاب فلا تحتل مكانًا في الوعي الفكري العربي المشغول بكيفية الاتكاء على معطيات الفكر الغربي أكثر منه بنقدهم أو اكتشاف مشكلاتهم، أي المشغول بالمنهجيات على النحو الآيديولوجي الذي يكشف عنه العروي دون أن يخرج هو تمامًا عن مؤثراته.

تستعمل الأيديولوجية في مجالات عدة وقد تكون متضاربة إلى حد ما ففي المجال السياسي قد تأخذ الأيديولوجية معنى مناهضا للانتهازية باعتبار أن الحزب الذي لا يمتلك أيديولوجية هو حزب انتهازي يسعى لاستغلال السلطة، أما عندما نتناول أيديولوجية عصر من العصور فإن الأيديولوجية تقدم مجموعة من المقولات والأحكام لتفسير ظاهرة اجتماعية وهي حينئذ تمثل رؤية تقود إلى فكر يحكم على كل ظاهرة إنسانية بضرورة الرجوع إلى التاريخ كقصد يتحقق عبر الزمن، أما الاستعمال الماركسي للأيديولوجية فهو يأتي في مقابل الفكر الموضوعي ويجعلها ضمن الإجابة عن السؤال: ما هي الأسباب التي تجعل الإنسان في كل أدواره يرى الأشياء طبقا لدعواه لاكما هي عليه في الواقع؟ وحينئذ فإن الأيديولوجية تبدو ضدا على الواقع(23).

في عصر الأنوار برزت الأيديولوجية من بين الصراع المحتدم بين مؤسستين متناقضتين تمام التناقض بين الكنيسة و فلاسفة التنوير حيث كان كل فريق يرى أن الفريق الآخر يحوك مؤامرة ضد البشرية لغرض غير أخلاقي ويتعمد تحريف معنى الكلام البديهي ؛ فالكنسيون يرون أن الفلاسفة يقودون ثورة شهوانية على التربية الأخلاقية التي تكبح جماح النفس، أما الفلاسفة فكانوا يرون أن الكنيسة تكبل العقل وتمنعه من الوصول

إلى المعرفة بسلطتها الظلمانية حبا في الاستبداد وطمعا في السيطرة(24) والجديد هنا أن الفلاسفة لم يكونوا يلجئون لفرضية الشيطان بل كانوا يربطون الأفكار بدوافع إنسانية بحتة يضعون في مقدمتها حبَّ التسلط والاستبدادَ المتجسّد في النظام الإقطاعي الذي ظلت الكنيسة وفية له ، و كانت تستميت في الدفاع عنه؛ يقول دولباخ : "إن التفكير بحرية معناه التحلل من الأحكام المسبقة التي يعتقد الطغيان أنها لازمة لحمايته ودعمه " و يرى بايكون : أن الأفكار التي شيدت على غير نظام لا بد من هدمها لكي نتقدم في البحث خطوة ، ولقد طرح سؤاله الشهير: كيف نفكر تفكيرا سليما ؟ وهو سؤال تم تحويره على يد كوندياك إلى السؤال : كيف نفكر ؟ حيث تجاوز بهذا السؤال حدود المنطق كما يطرحها السؤال الأول نحو البحث عن جميع المؤثرات التي تؤثر في التفكير، إن هذا السؤال يستدعي البحث في المجال الذي حدده دوتراسي (تلميذُ كوندياك) والذي اقترح تسميته بالأيديولوجيا فيقول : يمكن أن نسمي العلم المقترح الأيديولوجيا إذا نظرنا إلى محتواه ونحوا عاما إذا نظرنا إلى وسيلته ومنطقا إذا نظرنا إلى هدفه .

من حيث الماهيّة

يمكن تلخيصُ أهمّ معاني الأيديولوجيا التي استعرضها العروي في كتابه على هذا الشكل:

1 ـ الإيديولوجيا تعني القناعَ والتفكيرَ الوهميّ إذا استُعملَت لتحليل قضايا المجتمع ودراستها لأنّها ذاتُ طبيعة نسبيّة: فهي صحيحة في نظر حاملها، وخطأٌ في نظر غيره (25) بهذا المعنى تكون الإيديولوجيا وعيًا زائفًا للذات؛ أيْ وعيًا يعبّر عن رؤية الذات بغضّ النظر عن صحّتها، وقد نظر ماركس إلى الإيديولوجيا على أنّها "التفكير غير العقلانيّ غير النقديّ الموروث من عهد الاستبداد،" فأخذ بهذا المفهوم وهو كان السائدَ في الأوساط الاشتراكيّة الفرنسيّة، وترك مفهومَ الإيديولوجيا القادم مباشرةً من عصر النهضة.

2 ـ الإيديولوجيا تعني رؤيةً كونيّةً حين تتصدّى لدراسة الكون بهدف إدراكه، وتقديم رؤية أو نظريّة تاريخيّة.

3 ـ الإيديولوجيا تعني التفكيرَ الآنيَّ المؤقّت لتقديم نظريّة جدليّة خاصة بالمعرفة والكائن، وهنا يمكن أن تكون الإيديولوجيا ذاتُها موضوعًا للدراسة.

الايديولوجية العربية المعاصرة :

-عندما نقول أيديولوجية عربية معاصرة يتبادر إلى أذهاننا سؤال مهم وهو ما يقصد العروي من هته الكلمة التي لها معان ؟

-هو لا يقصد بالأيديولوجية الوعي الزائف أو الانعكاس السلبي ولا النسق الفكري من المعتقدات والقيم بل يقصد أنها تلعب دور النموذج الذهني الذي يسهل عملية التجسيد والتحقيق الفعلي

1 التيارات الثلاث ضمن الإيديولوجية العربية المعاصرة

* التيار الأول:أن المشكلة الأساسية في الوطن العربي الحديث تتعلق بالعقيدة الدينية وعدم التطبيق السليم لها يقول العروي موضحا ذلك "سبب ضعفنا هو الإعراض عن الرسالة والتنكر لدعوة الإسلام " (26) فالشيخ هو الممثل لهذا التيار ويلقي اللوم على الأمة لعدم تطبيقها الإسلام والإعراض عن الرسالة.

التيار الثاني: ويمثله رجال السياسة يفترض أن المشكلة الأساسية تتعلق بالتنظيم السياسي مستشهدا بالشعوب الأوروبية عندما تخلصت من سيطرة الكنيسة عرفت تطورا في شتى الميادين "والخلاص يكمن في التمثيل النيابي والحرية الفردية " (27)

التيار الثالث : المتعلق بالنشاط العلمي والعملي والصناعي والمتمثل في داعية التقنية وهذا الأخير يبحث في أسباب تطور الغرب إذ أن الغرب في نظر العروي " قوة مادية أصلها العمل الموجه المفيد والعمل التطبيقي " (28) فلا يجد سبيلا من تلخيص الدولة إلا العلم التقني واللجوء إلى ثقافة الغرب.

كيف يستعمل العرب الأيديولوجية ؟

ليس عبد الله العروي بغريب عن هذا المفهوم فقد سبق له أن استخدمه في مؤلفه الآيديولوجية العربية المعاصرة والانتقال من دراسة الآيديولوجيات السائدة في العالم العربي إلى دراسة مفهوم الآيديولوجيا المجرد خطوة طبيعية وضرورية، وهذا الكتيب "الأيديولوجية" يوسع محاضرة ألقيت في كلية الأداب بالرباط ويبسطها، تهدف الدراسة بشكل رئيسي إلى بلورة المفهوم والى تنظيم استعماله والى ربطه بالمنظومات الفكرية التي صدر عنها: "إن أحد أهداف هذا البحث، بل الهدف الأساسي منه، هو التوصل إلى قاعدة لاستعمال مفهوم الأيديولوجية بكيفية مرضية"(29) وينهي المؤلف دراسته بتكرار الهدف الذي سعى إلى تحقيقه: "إدخال شيء من النظام في ميدان كثر فيه الخلط":

فتداخل التحديدات منتشر في الفكر الغربي وهو "أكثر استفحالا عند الكتاب العرب"(30).

تقودنا هذه الملاحظة الحاسمة إلى سمة أخرى من سمات الآيديولوجية في محاضرة العروي. إن مفهوم"الأيديولوجية" كما يعرضه هو مفهوم "مثالي" أو هوائي، فالمؤلف يعالج المسألة من زاوية المحتوى فقط دون أن يعير أي اهتمام لجذور الايدولوجيا الاجتماعية ولدورها في المجتمع: ما هي علاقتها بسائر المستويات الاجتماعية؟ ما هو موقعها من جهاز الدولة؟ ما هي علاقتها بالفئات التي تنتجها (المثقفون)؟ إن هذه المسائل محورية اليوم في كل بحث تاريخي وهي تفسر وجود ثغرة أساسية في عرض العروي: غياب غرامشي ولم يرد ذكر هذه المسائل خلال العرض المشتت لنظرية ألتوسير إلا ضمن إطار محتوى المفهوم الذي يقوم بتحويل "الأفراد إلى ذوات" ولا يشذ كتاب العروي الأخير عن الخط الذي اعتمده المؤلف في كتاب الأيديولوجية العربية المعاصرة الذي صنف فيه الأيديولوجيات انطلاقاً من محتواها وخصوصاً من وعيها للغرب مشيراً إشارات عابرة إلى مواقع المثقفين في المجتمعات العربية، يقود تعدد استخدامات عبارة الأيديولوجيا العروي إلى إدراجها في أطر ثلاثة.

الإطار الأول هو"الأيديولوجية القناع" ويحشر العروي في هذا الإطار كلا من ماركس ومانهايم الذي يعمم النقد الماركسي على الماركسية ذاتها فيجعل منها أيديولوجية بين الأيديولوجيات ونيتشه وفرويد ثمة حاجز يمنع رؤية الواقع الاجتماعي والكائن الطبيعي كما هما، وهذا الحاجز هو الانتماء الطبقي عند ماركس وحقد المستضعفين عند نيتشه والرغبة عند فرويد.

الإطار الثاني هو "الأيديولوجية النظرة الكونية" التي تميز حقبة من حقبات التاريخ، ورث ماركس هذا المفهوم عن هيغل والفلسفة الألمانية لكنه فك ارتباطه بتطور العقل المطلق وقيّده ببنية الإنتاج المادي التي تتيح للمجتمع الاستمرار والنمو، أما ماكس فيبر، فقد سار على خطى الاجتماعيات الألمانية نحو النسبية، رفض ربط الذهنيات بالقاعدة المادية مؤكداً أن القيمة تنتج عن قيمة لا عن واقعة المطابقة التلقائية بين الواقعة التاريخية وإدراكها في أبحاث المؤرخ يبني المؤرخ نموذجاُ ذهنياً ثم يربطه "بعلاقة تفهيمية" بنموذج آخر ربطاً يبقى في حيز الظني والممكن، ويمسك أخيراً عن الحكم على القيم المحورية التي شيدت عليها النماذج الذهنية.

الإطار الثالث من ميدان العلوم الاجتماعية إلى ميدان الفلسفة ومن مستوى الأيديولوجية إلى مستوى الأدلوجياء التي تهدف إلى تمييز الأيديولوجيا عن العلم "إنها في الواقع علم العلوم أو مجموع الشروط العلمية كل نظرية عن الأيديولوجيا تفترض نظرية عن العلم المعرفة العلمية عند ماركس تمتاز بالشمولية وبالتشديد على التطور التاريخي وبالتأكيد على عقلانيتها وبضمان البروليتاريا لها أي الطبقة التي "لها وحدها مصلحة بديهية في معرفة الحقيقة وعدم الاكتفاء بعلوم الظاهرات كما تفعل الطبقات الأخرى"(31)

تتعدد استعمالات مفهوم الأيديولوجيا لكن ثمة سمة مشتركة تجمع كل الاستخدامات وتوحدها: "إن مفهوم الأيديولوجية دائما مزدوج فهو في نفس الوقت وصفي ونقدي يستلزم دائماً مستويين: المستوى الذي تقف عنده الأيديولوجية حيث تظن أنها حقيقة مطابقة للواقع، والمستوى الثاني هو الذي يقف عنده الباحث عندما يحكم على الأيديولوجية أنها أيديولوجية لا تعكس الواقع على وجهه الصحيح" "في هذه الاستعمالات الخمسة تتغاير التعابير، وتختلف المطلقات التي تميز الأيديولوجية عن الحق، لكننا نلاحظ فيها تشابهاً بنيوياً، كل استعمال يفرق بين الظاهر والخفي، بين الملموس والحقيقي، بين الوجود والقيمة، ويحدد بالتالي الأيديولوجية انطلاقاً من الحق الثابت، فيرفع قناع الأيديولوجية عن الحقيقة الباطنية" (32).

إن هذه المزاوجة العميقة التي يقوم بها عبد الله العروي في الدراسات التاريخانية التي يتناول من خلالها الفكر العربي منذ ما اصطلح عليه بعصر النهضة العربية، إذ فكك بنيات هذا الفكر المعبر عنها انطلاقا من أعمال كل من محمد عبده ولطفي السيد وسلامة موسى وطه حسين وعلال الفاسي وسواهم وبين هذا الانجذاب القوي إلى كتابة الروايات في شكل مختلف عن المعتاد، فالرواية عنده تأخذ اتجاه رواية الثقافة ذات الحمولة الفكرية والوجدانية العميقة التي تكون وليدة التفكير وليس وليدة الانطباعية. هكذا نجد أن كل رواياته هي روايات ثقافة وبحث واستقصاء، فيها تجريب وفيها تعدد لغوي قوي وفيها استخلاص للأحداث، هي روايات تجمع بين قوة الشكل وعمق المضمون، وهي بالإضافة إلى ذلك "تبحث عن أشياء خارج المضامين المذكورة عند الفلاسفة والأيديولوجيين والمؤرخين " ذلك أنها تكون وليدة تجربة نفسانية، بكيفية من الكيفيات، تدعو المرء إلى نوع من الاستكشاف"(33) على تعبيره في تعريفه للكتابة الروائية وفق وجهة نظره في الحوار الذي أجراه معه محمد الداهي في كتابه «عبد الله

العروي من التاريخ إلى الحب» وهو أمر نجده واضحاً في رواياته هو نفسه بدءاً من روايتيه « الغربة» و«اليتيم» وامتداداً مع بقية رواياته الأخرى مثل «الفريق» و«أوراق» و«غيلة» و«الآفة» إن هذه الروايات لم يتم الاعتماد في كتابتها، كما يقول د محمد برادة، على الموهبة والسليقة فقط، بل على الإدراك لتاريخ الرواية وتقنياتها، من هنا فقد جاءت عميقة ومعبرة.

حاول بن عبد العالي في الدراسة الأولى من الكتاب وعنوانها: «في مفهوم الأيديولوجيا»، مناقشة تعريف عبد الله العروي لهذا المفهوم اعتماداً على كتابه «مفهوم الأيديولوجيا»، باعتبار أن هذا المفهوم، كما يذهب إلى ذلك العروي نفسه "ليس مفهوماً عادياً يعبر عن واقع ملموس، فيوصف وصفاً شافياً، وليس مفهوماً متولداً عن بديهيات فيحد حداً مجرداً، وإنما هو مفهوم اجتماعي تاريخي، وبالتالي يحمل في ذاته آثار تطورات وصراعات ومناظرات اجتماعية وسياسية عدة إنه يمثل "تراكم معان، مثله في ذلك مثل مفاهيم محورية أخرى كالدولة أو الحرية أو المادة أو الإنسان" (34) يقارب بن عبد العالي هذا المفهوم عند العروي متوقفاً عند أهم النظريات التي قامت بعملية تحديده، خصوصاً الماركسية والفرويدية والنيتشوية، مستعرضاً آراء ميشيل فوكو في هذا الصدد، وكيفية تقديم العروي لها ومناقشته المستفيضة والذكية، مبدياً بعض الملاحظات في هذه المناقشة المنفتحة على السؤال الفلسفي بكثير من العمق.

وبخصوص نقد العقل العربي والإسلامي، انطلاقاً من كتاب العروي «مفهوم العقل»، خالصاً إلى أن "ما ميز العقل الإسلامي في نظر الأستاذ العروي بالضبط هو تأرجحه بين موقفين حول هذا الممكن فبينما اعتبره أمثال محمد عبده واقعاً متحققاً عده أمثال ابن خلدون من قبيل الظن الذي لا يغني، وما سبيل الخروج من هذا التأرجح؟ واضح أنه الذهاب بالمنطق الخلدوني إلى أبعد مداه ووضع منطق فعلي للفعل واعتبار أن تأصيل عقل الفعل لا يتم إلا بنقض عقل الاسم»، عند «الترجمة الذاتية» التي قام بها العروي لكتابه الرائد «الأيديولوجيا العربية المعاصرة» والتي جاءت كما يقول هو نفسه تصحيحاً لترجمة سابقة ظهرت في بيروت، إثر صدور الكتاب في طبعته الفرنسية، والتي أنجزها المترجم محمد عيتاني، وقد جاءت ترجمة عبد الله العروي عام 1996 أي بعد نحو ثلاثين سنة من الصيغة الفرنسية للكتاب وأكثر من ربع قرن بعد الترجمة الأولى (35)، لكن ما يطرحه بن عبد العالي في هذا الصدد، في مناقشته مقدمة الترجمة التي أنجزها العروي يذهب إلى أن هذه الترجمة هي «النص الأصلي» للكتاب خصوصاً أنه

الخبير بمجال الترجمة، فقد صدر له كتاب عنها تحت عنوان «في الترجمة»، وهو يرى أن الفترة الزمنية بين صدور كتاب «الأيديولوجيا العربية المعاصرة» باللغة الفرنسية والترجمة التي قام بها العروي للكتاب إضافة إلى اللغة المنقول منها والأخرى المنقول إليها ستجعل من ترجمة العروي كتابه هذا، هي الأخرى، لا يمكن أن تكون بمثابة الأصل حتى وإن أشار الكاتب المترجم الأصلي عبد الله العروي إلى ذلك، هكذا تبدو ملامح صورة المفكر عبد الله العروي (36)، هذا المفكر المغربي الكبير الذي طبع الثقافة العربية فكراً وإبداعاً بمؤلفاته التي حفرت عميقاً في تربته.

ومن المعاني السياقيّة للإيديولوجيا أو "الأدلوجة" بحسب مصطلح العروي:

أ ـ أيديولوجيا عصر النهضة الأوروبيّة، وهي النظرة التي كان الفلاسفةُ والمفكّرون آنذاك يُلْقونها على الكون والمجتمع والفرد، ويندرج بموجب قواعدها كلُّ تقريرٍ أو حُكمٍ صدر في ذلك العصر.

ب ـ أيديولوجيا كلّ عصر هي الأفقُ الذهنيّ الذي يحدِّد فكرَ إنسانِ ذلك العصر.

ج ـ الماركسيّة تختلف عن غيرها من المذاهب لأنّها تقدِّم لنا نظريّةً عن الأيديولوجيا، نظريّةً تفسِّر وتفكِّك لنا الإيديولوجيا من داخلها ويقترح العروي إطلاق اسم "أدلوجياء" على التفسير الماركسي للأيديولوجيا، وأعتقد أنّه يقصد ما يمكن أن نطلق عليه "أيديولوجيا الأيديولوجيّات" وهذه النظريّة الماركسيّة عن الأيديولوجيا تحاول أن تفكَّ طلاسمَ الأيديولوجيا ضمن سياقاتها التاريخيّة، من دون أن يعني ذلك أنّ الأيديولوجيا الماركسيّة نفسَها في منأًى عن النقد، لكونها إيديولوجيا ينطبق عليها ما ينطبقُ على غيرها من النواحي الإستعماليّة (37)، وتحاول هذه النظريّة الماركسيّة الخاصّة بالإيديولوجيّات فما هي الأسباب التي جعلت الفكرَ الإنسانيَّ يرى الأشياءَ والظواهرَ طبقًا لمزاعمه، لا طبقًا لذاتها؟

د ـ من المعاني السلبيّة للإيديولوجيا قولُنا: "فلان ينظر إلى الأمور نظرةً إيديولوجيّة،" أي انتقائيّة، بهدف إظهارها مطابقةً لما يعتقد أنّه الحقّ، أمّا العلماء والباحثون التجريبيون، كالفيزيائيين والكيميائيين، فينظرون إلى الإيديولوجيا بامتعاضٍ كبير لأنّهم يعتقدون أنّ الارتباط بمعتقداتٍ مسبَّقة، غيرِ مبنيّةٍ على تجربة شخصيّةٍ مبرهنٍ عليها، نوعٌ من "المراهقة الفكريّة".

مجالات الإيديولوجيا

يشرح العروي لنا أنّ للإيديولوجيا أربعةَ مجالات إستعماليّة هي:

1 ـ مجال المناظرة السياسيّة، هنا تكتسب الإيديولوجيا صبغةً سلبيّةً أو إيجابيّةً بحسب هويّة المستعمِل "إيديولوجيّتي صحيحة متسامية، تعبّر عن الوفاء والتضحية، وإيديولوجيّتك خاطئة لأنّها قناع تتستّر وراءه نوايا لاواعية"(38)، الإيديولوجيا هنا نسبيّة، وهي قناع من الناحية الوظيفيّة.

2 ـ مجال المجتمع في طورٍ من أطواره التاريخيّة، بمعنى أنّنا نفهم المجتمع، في ذاك الحين، كيانًا واحدًا، يتّفق جميعُ أفراده في الولاء لقيمٍ اجتماعيّةٍ مشتركة، ويستعملون منطقًا واحدًا، فلو درسنا مثلًا إيديولوجيّةَ الخوارج في المجتمع الخارجيّ، فسنبحث في إيديولوجيّة ذلك العصر التي تحكّمتْ في أذهان الخوارج وأذهان أعدائهم، وجعلتهم يهتمّون بمشكلاتٍ محدّدة وأسئلةٍ معيّنة(39)، هنا سيتمّ استخراجُ إيديولوجيّة الخوارج بتأويل أعمالهم السياسيّة والأدبيّة وفهمها وهذه وظيفة علميّة مهمّة جدًّا، لا يمكن اعتبارُها سلبيّةً بدءًا ومنتهى.

3 ـ مجال الكائن، أيْ كائن الإنسان المتعامل مع محيطه الطبيعيّ. وهنا أيضًا يمكن اعتبارُ هذه الوظيفة علميّة ومهمّة جدًّا، ولا يمكن اعتبارُها سلبيّةً بالمعنى الشائع للإيديولوجيا (40).

4 ـ المجال المشترك بين المجالات الثلاثة السابقة، وهذا يتمّ حين ندرس تأثيرَ أيّة إيديولوجيا في الفكر، ما يعني البحثَ في الحدود الموضوعيّة التي ترسم أفقَه: حدودِ الانتماء إلى الإيديولوجيا، وحدودِ الطور التاريخيّ الذي يمرّ فيه المجتمع، وحدودِ الإنسان في محيطه الطبيعيّ.

العروي والنقد الأيديولوجي:

أعلن العروي منذ البداية عن هَوَسه بالنقد الأيديولوجي، معتبرًا أن "تمحيص الدعوات الإنقاذية والإصلاحية التي يعجّ بها العالم العربي، عمل نافع لا مفر من إنجازه، حمل العروي على عاتقه نقد وتمحيص الدعوات الأيدلوجية في العالم العربي، متبعًا ما وصفه بـ«الطريق المعاكس» أي استكشاف ما تحمله الأيديولوجيا في طياتها من إيماءات لبنية اجتماعية جديدة"(41)، بعد أن كانت في نظره ليست إلا انعكاسًا للبنى الاجتماعية القائمة.

عمل العروي علي نقد الأيديولوجيا العربية المعاصرة، محللاً رؤيتها إلى السياسة والتاريخ، ومخلخلا أسسها ومنطلقاتها الفكرية، ولعله كان يرمي بذلك إلى إيجاد «البنية الذهنية» الحاكمة للإنتاج الفكري في العالم العربي (42)، لقد كان يبحث عن "المنطق الضمني الجامع بين مختلف التيارات الأيديولوجية، أي البنية الذهنية الثاوية خلف تلك الواجهات كلها"(43) ثم يخلص إلى تبيان رؤيته في أن «الماركسية» هي ذلك المنطق الضمني للأيديولوجيا العربية بمختلف توجهاتها، وإن عاب على مثقفي العالم الثالث سطحيتهم في التعاطي مع ماركس.

امتد نقد العروي للأيديولوجيا كذلك إلى الحديث عن مفهوم الأيديولوجيا ذاته، وتبيان تفاعلاته وتشعباته مع مفاهيم أخرى، فكتب «مفهوم الأيديولوجيا» و«مفهوم الحرية» و«مفهوم الدولة»، وتحدث عن «الأيديولوجيا الدولية» التي تمكن الدولة من اكتساب وإبقاء شرعيتها راسخة ثابتة "وقد كان يرمي إلى جعل أعماله أداة مفهومية قادرة على مساءلة الإنتاج الأيديولوجي العربي خارج النطاق الثقافي التقليدي، فالمفاهيم بالنسبة له لا تصدر عن أي نزوع تجريدي، بل إنها تنخرط في «الآلة الفكرية» التي تعمل بالنهاية على مساءلة الواقع الاجتماعي" (44)، وإن كان البعض يعيب على العروي نبرته الوثوقية التي يعبر بها عن آرائه ويقيم موقفه.

يقدم العروي نفسه مؤرخًا قبل كل شيء، تشغل الكتابة في التاريخ والتاريخانية حيزًا كبيرًا من متن العروي فهو صاحب دراسات مرجعية في تاريخ المغرب، «الجذور الاجتماعية والتاريخية للوطنية المغربية»،«مجمل تاريخ المغرب» المغرب والحسن الثاني وينطلق العروي في تأريخه من وضع قائم، يحلل شروطه، ويضع نصب عينيه فهم تشكّله التاريخي، وسبل الخروج من المأزق، وينطلق إلى تعميم نتائج تحليله أحيانًا، ويظهر في تناوله تصوره للحداثة والتحديث، يدافع العروي عن عقيدته التاريخانية سالفة الذكر في كل مؤلف من مؤلفاته (45)، ويلح دومًا على الوعي التاريخي بوصفه أساس كل تفكير في شأن الحداثة والتحديث.

تحدث العروي عن "قطيعة مع التراث، ولعله يشير بذلك إلى ضرورة الوعي بقطيعة حدثت بالفعل، بحكم تقدم التاريخ نفسه، والخروج من أفق التراث هذا لا يعني بالنسبة للعدوى عليه، أو التنكر لحضوره في الوعي العربي، بل التصدي له بالتحليل والنقد، ولعل هذا ما يفسر إقبال العروي الكثيف على العناية بالتراث دراسة وتحليلا"(46) "إن مراجعة سريعة لمحتويات هذا النص اليوم، تجعلنا نُفَاجَأُ بكونه ما

زال يخاطبنا ويخاطب مآزقنا في السياسة وفي الفكر، صحيح أن نصف قرن يُعَدُّ زمناً قصيراً في تاريخ المجتمعات، وخاصة عندما يكون إيقاع الزمن فيها بطيئاً ومكبلاً بثقافة محافظة مثل مجتمعنا، إلا أن العناية بما بلور من مواقف وإشكالات تكشف صوَّراً من الحوار ما زالت قائمة بينه وبين القضايا التي تمر اليوم في مجتمعنا وثقافتنا"(47)

نتصوَّر أن عنوان النص يحمل إيحاءات ترجعنا إلى زمن تأليفه، حيث "كانت مفردة إيديولوجيا تحيل إلى نظام في الفكر مرتبط بالمجتمع وتحولاته، كما نتصوَّر أن العروي وهو يُدرج عمله في دائرة تشخيص ونقد الثقافة الإصلاحية السائدة في الفكر العربي المعاصر"(48)بهدف بلورة الخيارات الإصلاحية المناسبة لحالة التأخر الحاصل في المجتمعات العربية، كان" يستحضر في ذهنه نص ماركس الشهير الأيديولوجيا الألمانية، وقد عَبَّر عن ذلك بطريقة غير مباشرة، وذلك بتبنيه مفهوم الماركسية الموضوعية، ونقده لماركسية ألتوسير التي عُرِفَت بعنايتها وقراءتها لنص رأس المال"(49) فقد كان العروي يعتبر أن مثقف العالم الثالث، مطالب بالاستفادة من نص الأيديولوجيا الألمانية بحكم أنه يساعدنا أكثر من غيره من أعمال ماركس، في عملية الاقتراب النقدي من أنماط الوعي الإيديولوجي في ثقافتنا.

الاستغراب الايديولوجي.

أجمع النقاد الباحثون في مجال الدراسات الاجتماعية والإنسانية بأن قضية تحديد المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالعلوم الإنسانية، من أصعب القضايا المعرفية الموجودة والسبب في ذلك يرجع إلى أن العامل الذاتي يسيطر على مواضيع هذه العلوم أكثر من العامل الموضوعي، حيث إن الإنسان هو الدارس والمدروس في آن واحد، بالإضافة إلى أن العلوم الإنسانية رغم المجهودات المبذولة في سبيل تقدمها وتطوير مناهجها لم تلحق بالعلوم المادية الطبيعية، وغدا من الصعب مثلا أن يتفق علماء الاجتماع على تعريف موحد لمصطلح من المصطلحات الاجتماعية، وقد يكون مفهوم الايديولوجيا أبرز مثال للإختلاف في التعريف، فالاشتراكيون يعرفون الأيديولوجيا انطلاقا من منظومتهم الفكرية(50) والمفكرون الغربيون في أوربا وأمريكا لهم تعريفاتهم الخاصة، بل إنهم يختلفون باختلاف المدارس التي ينتمون إليها، فأصحاب المدرسة الوظيفية يختلفون مع البنيويين، وهؤلاء يختلفون مع أصحاب الوضعية المنطقية وهكذا، كما أنهم كثيرا يدخلون تعديلات على بعض المصطلحات، أو يعيدون صياغتها

حسب الزمان والمكان، إن ما أصاب الأيديولوجية الاشتراكية في العقود الأخيرة من إرتكاس واندحار أثر حتما في فهم الاشتراكيين لمعنى الأيديولوجيا، وبالتالي تغير مضمونها.

تحليل عبد الله العروي للأيديولوجيا.

لعل الأستاذ عبد الله العروي أول كاتب مغربي استخدم بغزارة لفظ الأيديولوجية في إنتاجه الفكري، وهذا ما يتضح عند الاطلاع على مؤلفاته مثل "الأيديولوجية العربية المعاصرة" أو"العرب والفكر التاريخي" أو "مفهوم الدولة " أو"مفهوم الحرية" أو "مفهوم الأيديولوجية"(51) والسبب في ذلك يرجع إلى أن الأستاذ كان من المغاربة الأوائل الذين تبنوا الفكر اليساري وعملوا على نشره، ومناصرة الأيديولوجية الماركسية الاشتراكية، إذ بما أن الكتابات الماركسية في الشرق والغرب، كانت أكثر الكتابات استعمالا لمفهوم الأيديولوجية خصوصا في العقود الثلاثة الأولى للنصف الثاني من القرن العشرين، بات من الضروري أن يكون لهذا الاستعمال صدى لدى الكتاب المغاربة الماركسيين، أضف إلى هذا أن الأستاذ العروي يتميز بتكوين فلسفي لا بأس به، خاصة فيما يتعلق بالفلسفة الأوربية في عصر النهضة والقرون المتأخرة .ومفهوم الأيديولوجية كما سيتبين من إبداع الفلسفة الأوربية زمن الثورة الفرنسية، وقد تعرض الأستاذ العروي لتحليل مفهوم الأيديولوجية في كتابه "مفهوم الأيديولوجية " ويقول في مقدمة هذا الكتاب :" إن مفهوم الأيديولوجيا ليس مفهوما عاديا يعبر عن واقع ملموس فيوصف وصفا شافيا، وليس مفهوما متولدا عن بديهيات فيحد حدا مجردا، وإنما هو مفهوم اجتماعي وتاريخي، وبالتالي يحمل في ذاته آثار تطورات وصراعات ومناظرات اجتماعية وسياسية عديدة، إنه يمثل "تراكم معان، مثله في هذا مثل مفاهيم محورية أخرى كالدولة أو الحرية أو المادة أو الإنسان" (52)، ثم يقرر" أن كل نقاش حول مفهوم الأيديولوجيا يستلزم الاطلاع على أصله وصيرورته، وبالتالي على المذاهب الفلسفية المتعلقة به" يقترح الأستاذ العروي تعريب كلمة أيديولوجيا لتصبح على وزن أفعوله أي أدلوجة، ويعرض لمعنى الأدلوجة كقناع وكنظرة كونية، وكعلم للظاهرات.

لقد كان الهدف الأساسي من إصدار كتاب الإيديولوجيا العربية المعاصرة حسب العروي هو دراسة المنطق العام للوعي الإيديولوجي قصد تبين أشكال الوعي التي منعت الفكر العربي من أن يجد النظرية الموضوعية التي تسمح له بفهم واقعه فهما موضوعيا، وفي اتجاه تغيير يسير به نحو تجاوز التأخر التاريخي.

حيث أن العروي في هذا الكتاب قام بمهمة تشخيص الوعي العربي السائد من خلال ثلاثة نماذج ، إذ وقف على الهفوات التي وقع فيها كل صنف من هذه الأصناف ومكامن ضعفه يقول العروي "يمكن أن نميز ضمن الإيديولوجيا العربية المعاصرة ثلاثة تيارات أساسية: يفترض التيار الأول: أن أم المشكلات في المجتمع العربي تتعلق بالعقيدة الدينية والثاني: بالتنظيم السياسي والثالث: بالنشاط العلمي الصناعي" (53) الداعية السلفي يتجسد في الشيخ محمد عبده، الذي يرى بأن أساس التخلف هو الابتعاد عن أقوال السلف الصالح، فهو يدافع عن التأويل السني للإسلام باعتباره هو التأويل الصحيح يقول العروي يسمع العدول يقول: انحط الإسلام بسبب تعصبه وتعلقه بالخرافات، يعود إلى كتاب الله ، يقرأ آياته البينات ويتأملها، فلا يجد فيها إلا الحض على الرفق والتسامح، لا يرى فيها إلا عقيدة مدعومة بحجج العقل، فيقول كذب الخصم، الإسلام هو الإيمان بعد النظر، الإسلام هو التوحيد المطلق العاصم من عبادة أي سلطان غير الله بشريا كان أو طبيعيا، الضامن لكل فرد حريته واستقلاله الإسلام دين الفطرة، بين واضح، لا سر فيه ولا غموض ، فهو الأولى بأن تجتمع حوله آراء عقلاء البشر.

وهو نفسه التأويل الذي يضرب مبادئ الحداثة من حرية وفردانية عرض الحائط ويتنكر لهما مقابل إعطاء قيمة المحكوم لصالح الحاكم وتقديس الماضي وحكم الأفراد على أساس ما هو ديني وتقديس الحاكم باعتباره خليفة الله في الأرض إلخ ،هذا التأويل حسب العروي لا يزال سائدا، ويفسر بأن كل ما أوتي من الغرب هو بدعة حيت يقول ورؤية الشيخ هذه لا تزال تؤثر في المجتمع على توالي الأجيال كانت في أول حركة النهضة موضوع إجماع ، ثم فقدت رويدا رويدا جاذبيتها إلا أنها لا تزال منتشرة بين جماعات يعتبرها البعض منا تقليدية أو متخلفة والشيخ بهذا الطرح حسب العروي لم يدخل الضرورة التاريخية في الزمن.

ينتقد العروي هذه الرؤية والتي يسميها بالفكر المحافظ، معتبرا أنها حقيقة رجعية انتهى عهدها وهي سبب تخلفنا، وكل مناداة بالرجوع إلى هذا الأصل السلفي يقف عائقا أمام التقدم، فهذا الوعي من النمط هو نمط لا تاريخي لأن كل ارتباط بأصل موهوم هو دعوة لا تاريخية وتحليله العروي لتلك الشخصية مبتغاه هو الفصل بين الخصوصية والأصالة فالأولى متطورة تدعوا للحداثة والثانية سكونية ملتفتة إلى الوراء، إن غاية الأستاذ العروي من هذا الموقف ضد الفكر الفلسفي، ليس هو إقصاء هذا التراث كحقيقة سبق أن عشناها وإنما هدفه ألا نبقى حبيسه لأننا في موقف حاليا يفرض

علينا انتقاء ما هو ملائم للظرفية التي نعيشها والتي تشهد تخلفا على جميع المستويات ، ولا يتحقق ذلك إلا بالانفتاح على ما هو متاح للبشرية جمعاء لقد استوحى العروي النماذج المذكورة من أعمال محمد عبده ولطفي السيد وسلامة موسى، لأنه "اعتبر هؤلاء المؤلفين يجسدون الإيديولوجيا العربية المعاصرة أوضح وأظهر ما يكون التجسيد، بالنسبة لكل بلد عربي عرف الاختلاف بحيث يكون أيسر طريق لاستجلاء وضعه الثقافي هو تمتل ذلك الثلاثي في سياقه الزماني" (54).

لم ينتج الفكر السلفي و الانتقائي وهما الممثلان الرئيسيان للإيديولوجيا العربية المعاصرة أية برنامج ثقافي يسمح بالنهوض ومواكبة التأخر التاريخي وتحقيق نهضة ثقافية، يفتح المجال للعرب للتصالح مع ذاتهم، بواسطة الانفتاح على المنجزات الثقافية المعاصرة والمتحققة في الغرب، وهو بهذا ينتقد العروي المثقف السلفي الذي يمجد الماضي ويقدس الحقيقة المتعالية، ويكون بعيدا كل البعد عن متطلبات الفكر التاريخي، لذلك يؤكد العروي أن مجال الانفتاح على الحداثة للتقدم ومواكبة التطور التاريخي هو مسؤولية العرب، لذلك عليهم أن يؤمنوا بمسألة أساسية وهي أن يودعوا المطلقات جميعها ويكفوا عن الاعتقاد أن النموذج الأمثل بالنسبة للإنسانية وراءهم وليس أمامهم، وأن كل تقدم هو في أساسه تجسيد للماضي وأن العلم يقتصر على تأويل أقوال العارفين وأن العقل الإنساني يقلد ما كان ولا يبدع ولا ينتج ما لم يكن، وبذلك تتمثل لأول مرة معنى السياسة كتوافق مستمر بين ذهنيات جزئية تمليها ممارسات الجماعات المستقلة فاتحة المجال للحوار والنقاش في إطار الإيمان بالنسبية البعيدة عن الادعاء بامتلاك الحقيقة عن طريق الوحي و المكاشفة وفرضها على الآخرين لهذا يعود سبب تحجر الذهنية العربية و العقل العربي إلى العقم الثقافي، كخاصية ظلت لصيقة بالثقافة العربية الإسلامية.

المشروع الماركسي عند العروي:

إن الماركسية هي الأساس المنطقي للإيديولوجيا العربية المعاصرة، بمعنى أنها تمثل التنظيم الفكري الوحيد الذي تتآلف في جميع فرضيات تلك الأيديولوجيا على اختلاف مذاهبها، قد يصح هذا، لكن بشرط أن نحدد بالضبط نوع الماركسية التي تستطيع أن تقوم بالدور وهو بهذا العروي يقترح "تلك الماركسية التاريخانية لتكوين نخبة مثقفة قادرة على تحديثها ثقافيا، وسياسيا واقتصاديا وهي أساسيات الفكر العصري القوي،

فاستيعاب هذه الماركسية في نظر العروي هي وسيلة ضرورية وملحة تفرضها علينا الوضعية المتأخرة التي تمر منها مجتمعاتنا العربية" (55)

وتجنبا للمعرفة الناقصة لواقع واقعي ناقص، يقترح العروي "ألا نقبل إلا المعرفة الموضوعية ، تحت مسمى العقل الكوني والتي لها أولوية على البنية الاجتماعية وتتحدد هذه الأخيرة بها وليس العكس" يقول "إلا أن النقطة الأساسية في تحليلنا هي التالية : في وضع المجتمع العربي، ولكي يكون كلامنا مطابقا لموضوعه ألا يجب قلب العلاقة المعهودة بين المجتمع والفكر، بتقديم هذا على ذاك؟ تقضي العادة في الغرب بأن نتدرج من الوضع الاجتماعي إلى الإنتاج الفكري"(56)، لكن إذا قبلنا أن مفهوم المستقبل الماضي يعبر عن تجربة تاريخية فعلية يعيشها عرب اليوم، أفلا يعني ذلك بالضبط أن الأدلوجة {الدعوة} سابقة، عمليا وإجرائيا، تاريخيا ومنطقيا، على المجتمع؟ مما يعني أن ننطلق من الماركسية الموضوعية في مقاربة أوضاعنا، فهذا يساعد على تشكل بنية اجتماعية رأسمالية، أنسب للتحليل الماركسي.

يضيف العروي "وإذا صح أنه يجب قلب العلاقة، فيما يخصنا نحن العرب بين الأدلوجة ، وبنية المجتمع عندئذ يكمن الدليل القاطع، على وجود ذلك العقل الكوني الذي يشترك فيه كل البشر ، في سيرورة الفكر الإصلاحي العربي نفسه، إذا قلنا إنه يتوجه تدريجيا بصعوبة وألم وتأسف نحو التصالح مع الإنسانية الجديدة إنسانية العهد الحديث ومهما ظهر للبعض هذا المفهوم للعقل الكوني هزيلا عقيما، فإنه في نهاية المطاف أكثر عطاءا من الدعوة إلى المخالفة والتميز، حتى وإن وعدت بما لا عين رأت في عالم الأحلام"(57)

عبد الله العروي وأزمة الضمير العربي

الطابع الغالب على كل المفكرين العرب، "هو طابع أيديولوجي، وهذا أمر طبيعي ما دامت الحضارة العربية الإسلامية تعيش تخلفا وتسعى من خلال مفكريها إلى بلورة مشروع فكري وسياسي، يبلور النهضة العربية المنشودة التي بدأت تهيمن على تيارات الإنتلجنسيا العربية منذ القرن التاسع عشر، من خلال صدمة الحداثة التي تشكلت في الضمير الشرقي، بعد اصطدامه بالغرب الأوروبي المتقدم وقد كان القرن العشرين بؤرة لصراع أيديولوجي فرضته الظرفية التاريخية التي كان يمر منها العالم آنذاك، لذلك لم يسلم المثقف العربي من الانخراط في بلورة مشاريع فكرية، هاجسها الأساس التحرر من نير الاستعمار وبناء الدولة الحديثة" (58) لذلك نجد هذا الطابع الأيديولوجي الذي

هيمن على جل الكتابات الفكرية العربي، وفي سنة 1967 تلقى العرب صدمة ثانية بعد انهزامهم أمام إسرائيل، وفي نفس هذه السنة سينزل إلى الساحة الثقافية العربية كتاب كان هدفه هو نقد الأيديولوجيات التي كانت سائدة ومحاولة التأصيل لأيديولوجية تفهم الواقع وتغيره وتحقق الحداثة المنشودة هذا الكتاب هو "الأيديولوجية العربية المعاصرة" للمفكر المغربي عبد الله العروي، الذي وجه نقدا شاملا لكل الأيديولوجيات التي كانت سائدة الأيديولوجية السلفية اللاعقلانية، والتقنية الليبرالية والماركسية غير التاريخانية . دعا العروي في المقابل إلى تأسيس مشروع يتأسس على استيعاب ضروري لبعض مكتسبات الليبرالية، وهو ما سماه في كتابه الثاني الذي حمل عنوان "أزمة المثقفين العرب" بـ"الماركسية التاريخانية"، ما يتطلب في نظره القطع مع الماضي والتراث الفقهي الذي لم يعد ملائما للعصر. بعد هذا النقد الذي وجهه لتيارات الفكر العربي المعاصر. سيبدأ في إصدار كتب متتابعة حول النقد الأيديولوجي والتأصيل المفاهيمي من أجل رفع اللبس وسوء الفهم فيما يتعلق ببعض المفاهيم التي يساء فهمها لدى المثقف العربي منها "مفهوم الأيديولوجيا"، "مفهوم الحرية"، "مفهوم الدولة" مفهوم "التاريخ" وأخيرا مفهوم "العقل" الذي أعلن فيه عن مفهوم القطيعة مع التراث، ومع عقل المطلقات" (59)، وبعدها سيصدر كتبا أخرى كلها تتمة لمشروعه الفكري ،بالإضافة إلى أعماله النثرية الروائية التي لا تخرج عن نفس المنحى وهو تأصيل الحداثة والمعاصرة.

الخاتمة

في الأخير نستنتج أن الأيديولوجيا في الفكر العربي ذات طابع فلسفي ولا تطول العروي وحده وإنما تياراً عاماً تشكل الماركسية احد ابرز وجوهه وتنخرط رؤية العروي كلياً فيه، أظهر المؤلف أن وحدة مفهوم الأيديولوجيا خلال جميع استخداماته تكمن في ازدواجيته، الأيديوبوجية رؤية مغايرة لواقع ينعكس في الحق والعلم، انعكاس الواقع في الذهن هو القاعدة البديهية والطبيعية والأيديولوجيا هي "دراسة الأسباب التي تمنع الذهن البشري من عكس مباشر لبنية الأشياء ومفهوم "الأدلوجة" هو أيضاً مفهوم بديهي وطبيعي وضروري حالت أعراض تاريخية دون ظهوره في الفلسفة الإغريقية والمذاهب الإسلامية: " لا ريب أن العروي محق حين يظهر الجذور القديمة لمفهوم الأيديولوجيا وعمق صلته بمجمل التراث الفكري الغربي منذ أفلاطون لكن قِدم المفهوم

لا يعني أبداً بديهيته بل إن ازدواجيته تظهر بوضوح قيامه على عدد من المفاهيم والافتراضات سادت طويلاً وما تزال لكنها قابلة للنقد.

الإحالات والهوامش:

1- عبد الله العروي: مؤرخ وروائي مغربي (1933،) درس بجامعة السوربون في معهد الدراسات السياسية، من أنصار القطيعة المعرفية مع التراث الاسلامي وضرورة تبني قيم الحضارة باعتبارها قيم إنسانية، له دراسات في النقد الإيديولوجي وفي تاريخ الأفكار والأنظمة وأيضا العديد من النصوص الروائية ، يدافع عن التوجه التاريخي باعتباره معبرا عن الوحدة وعن الماركسية في صورتها .

2- عبد الله العروي، الإيديولوجية العربية المعاصرة، ترجمة محمد عيتاني، دار الحقيقية، ط1، سنة 1970، بيروت لبنان. ص150

3- المرجع نفسه، ص 157.

4- نفسه، ص 157-159

5- عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، دار الحقيقة، ط3، سنة 1980، بيروت لبنان، ص 140.

6- نفسه، ص 168.

7- عبد الله العروي، الإيديولوجية العربية المعاصرة، ص 20.

8- العروي عبد الله، العرب و الفكر التاريخي، دار الحقيقة ،بيروت ،الطبعة الثالثة ،1973 .ص 31

9- عبد الله العروي، رواية الغربة، دار النشر المغربية، سنة 1971.ص36

10- عبد الله العروي، رواية الغربة، دار النشر المغربية، سنة 1971

11- عبد الله العروي، الإيديولوجية العربية المعاصرة، ص 176

12- صدوق نور الدين، عبد الله العروي وحداثة الرواية (قراءة في نصوص العروي الروائية)، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 1994، الدار البيضاء، المغرب، ص 19-42.

13- عبد السلام بنعبد العالي" :*الفكر الفلسفي في المغرب* "دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، 1983 ، ص 8.

14- أنور المرتجي، البنيات الأساسية في رواية الغربة لعبد الله العروي، المحرر الأسبوعي الثقافي 16 أكتوبر 1977، ص 07.

15- المصدر نفسه ص 40

16- كمال عبد اللطيف الفكر الفلسفي في المغرب ، قراءات في أعمال العروي و الجابري، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، البيضاء الطبعة الأولى 2008

17- العروي عبد الله ، العرب و الفكر التاريخي، المصدر سابق ص 24

18- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا (الدار البيضاء: المركز الثقافيّ العربيّ، 1980)، ص 30.

19- ا عبدالله لعروي مفهوم العقل .مركز الثقافي العربي دار البيضاء المغرب ط2 1997 ص.ص15-16

20- منير الخطيب ، مفهوم الايديولوجيا في الفكر العربي المعاصر، (بتصرف) مجلة الوحدة ع 75 دجنبر 1990 ص 116 . 117 . 118

21- عبد الله العروي، *مفهوم الايديولوجيا*،المصدر السابق ص 5.
22- عبد الله العروي: *الادلوجه* ، المركز الثقافي الدار البيضاء 1980 ص 25.
23- رهان غليون *اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية* (دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1987. ص197 .198
24- المصدر السابق ص 42
25- المصدر نفسه، ص120
26- العروي عبد الله ، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، المرجع السابق ص 17
27- العروي عبد الله .الإيديولوجية العربية المعاصرة ص41
28- المصدر نفسه ص.ص42-45
29- المصدر نفسه ص.ص47
30- عبد الله العروي" :*أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخانية*؟" ترجمة د. ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت 1978 ص 152 . 153.
31- المصدر نفسه، ص154
32- المصدر نفسه ص 156
33- حميد لحميداني، في التنظير والممارسة، دراسات في الرواية المغربية، منشورات عيون المقالات، ط1، سنة 1986، الدار البيضاء، ص37
34- حميد لحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، دار الثقافة، ط1، سنة 1985، المغرب.ص 286.
35- عبد الله العروي، الإيديولوجية العربية المعاصرة، ص 278.
36- عبد الله العروي، رواية الفريق، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 1986، الدار البيضاء.
37- محمد الشيخ" مسألة الحداثة في الفكر المغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء الطبعة الأولى 2004 ص 57
38- المصدر نفسه ص 203
39- المصدر نفسه ص 143
40- المصدر نفسه ص 203
41- محمد عابد الجابري، مساهمة في النقد الإيديولوجي، المحرر الثقافي 28 ديسمبر 1974، ص 3
42- المرجع نفسه ص5
43- المرجع نفسه، ص6
44- سعيد بن سعيد، النقد الإيديولوجي وتحديث العقل العربي، ضمن كتاب: محاورة فكر عبد الله العروي، جمعها ورتبها بسام الكردي، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 2000، الدار البيضاء، المغرب، ص 152.
45- المرجع نفسه، ص 155..

46- عبدالله العروي: مفهوم الايديولوجيا، الأدلوجة، دار الفارابي، بيروت، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 1980، 142 صفحة.

47- يحول العروي مفاهيم نيتشه الفلسفية الى مفاهيم بيولوجية وتاريخية مستفيداً من بعض الصيغ التي لا تشكل سوى "نقاط الانطلاق الظاهرة" لفلسفة نيتشه. راجع:

48- Jean Granier : *le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche*, Paris, 1966, pp.395-410

49- المصدر السابق ص 58

50- كمال عبد اللطيف" الفكر الفلسفي في المغرب، قراءات في أعمال "العروي" و"الجابري"،المركز الثقافي العربي،بيروت، البيضاء الطبعة الأولى 2008 ص 159

51- العروي عبد الله ، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب الطبعة الأولى 1995. ص 176

52- عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، المصدر السابق ص 24

53- المصدر نفسه ص 167

54- العروي عبد الله ، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، ص 176

55- العروي عبد الله ، العرب و الفكر التاريخي، دار الحقيقة ،بيروت ،الطبعة الثالثة ،1973 ص 23

56- الماركسية الموضوعية وهي عنوان أحد محاور الكتاب :هي الدعوة التي يقتضيها الواقع العربي كي يتطور نحو مستقبله المستشرف، تمييزا عن ماركسية ذاتية، اعتقادية وجامدة، هي ما كان يتبناها الشيوعيون العرب. في عرف العروي الماركسية الموضوعية تتضمن الليبرالية والأنسية، وهي أقرب إلى تفكير ماركس الشاب منها إلى تفكير ماركس الكهل. المصدر نفسه ص 16

57- المصدر السابق ص 39 و 94

58- المصدر نفسه ص 93

59- محمد الشيخ مسألة الحداثة في الفكر المغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء الطبعة الأولى 2004

60- المصدر نفسه ص 157 و158